فلسفة العدو الوهمي وأثرها في السياسة الخارجية الامريكية

م.م همسة عامر نجم
hamssaamir@gmail.com
الجامعة المستنصرية/ كلية العلوم السياسية

الملخص:

تُعدّ فلسفة العدو الوهمي أحد أهم المفاهيم التي أسهمت في تشكيل توجهات السياسة الخارجية الأمريكية، لاسيما منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، إذ تقوم هذهِ الفلسفة على خلق أو تضخيم صورة "عدو" خارجي يُنظر إليه بوصفه تهديداً وجودياً للأمن القومي، وذلك بهدف تبرير سياسات توسعية أو تدخلية أو تعزيز هيمنة الولايات المتحدة على النظام الدولي، ويستند هذا النهج إلى مبادئ نفسية وسياسية تتعلق بتوحيد الداخل، وصياغة سرديات تبرر الإنفاق العسكري، وتحشد الرأي العام خلف القيادة السياسية، وتمنح الولايات المتحدة شرعية التدخل في مناطق مختلفة من العالم، وتتمثل خطورة فلسفة العدو الوهمي في قدرتها على إعادة تشكيل موازين القوة داخل النظام الدولي من خلال توظيفها لآليات الإعلام والاستخبارات والخطاب السياسي، مما يؤدي إلى إضفاء الشرعية على سياسات قد تحمل تبعات إنسانية وجيوسياسية واسعة، إضافة إلى ذلك، فإنها تُسهِم في توجيه التصورات العامة داخل المجتمع الأمريكي نحو دعم سياسات خارجية أكثر تشددًا، وتُبرّر تدخّلات تتعارض أحياناً مع القانون الدولي.

الكلمات المفتاحية: العدو الوهمي، السياسة الخارجية الامريكية، صناعة التهديد

The Philosophy of the Imaginary Enemy and Its Impact on US Foreign Policy

Assistant Lecturer Hamssa Amir Najim
College of Political Science -Al-Mustansiriya University
hamssaamir@gmail.com

Summary:

The philosophy of the imaginary enemy is one of the most important concepts that has shaped US foreign policy, particularly since the end of World War II. This philosophy is based on creating or exaggerating the image of an external "enemy" perceived as an existential threat to national security. The aim is to justify expansionist or interventionist policies or to reinforce US hegemony over the international system. This approach relies on psychological and political principles related to domestic unification, crafting narratives that justify military spending, mobilizing public opinion behind the political leadership, and granting the United States legitimacy to intervene in various parts of the world. The danger of the imaginary enemy philosophy lies in its ability to reshape the balance of power within the international system by employing media, intelligence, and political discourse. This leads to the legitimization of policies that may have broad humanitarian and geopolitical consequences. Furthermore, it contributes to shaping public perceptions within American society toward supporting more hawkish foreign policies and justifies interventions that sometimes contravene international law.

Keywords: Imaginary enemy, US foreign policy, threat manufacturing

المقدمة:

اعادت أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ الإرهاب إلى الوجود كعدو عالمي جديد، إذ طُلب من كل دول العالم محاربة ذلك العدو بقيادة الولايات المتحدة

الأمريكية وطبقاً لتوجهاتها وإملاءاتها، إذ تم تجسيد ذلك العدو في المرحلة الأولى وواقعياً في جميع المراحل تحت عنوان (الإرهاب الإسلامي)، وأعادت الولايات المتحدة لهجتها القوية في أوائل الحرب الباردة "من ليس معنا فهو ضدنا"، ومع زوال الاتحاد السوفيتي وسقوط الشيوعية في روسيا وفي بلدان أوربا الشرقية، تحول العالم من نظام ثنائي القطبية إلى نظام القطبية الأحادية المتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية، و وجه هذا التحول أنظار الغرب – وتحديداً الولايات المتحدة الأمريكية – إلى الاهتمام الجاد بطبيعة المرحلة الجديدة التي اتسمت بغياب الكتلة الشيوعية المنافسة أو العدو للرأسمالية الغربية، وإلى احتمالات بروز أطراف جدد يمكن أن يمارسوا دور المنافسة الحضارية، ولعل الغرب توصل إلى قناعة ببروز الإسلام في الساحة العالمية ورجحان كفتهُ كبديل عقائدي وحضاري، وتوسع احتمالات انتشاره كنظام سياسي، مما قد يفسر توجه المنهج الثقافي السياسي الغربي إلى استعداء الإسلام من جهة، وبروز نسق ثقافي سياسي ينظر إلى الإسلام على أنهُ الخطر الجديد بعد الشيوعية.

أولاً: أهمية البحث

تظهر أهمية البحث في كونه يسلط الضوء على أحد أكثر المفاهيم تأثيراً في تشكيل السلوك الخارجي للولايات المتحدة، وهو مفهوم "العدو الوهمي" الذي يُستخدم كأداة استراتيجية لتبرير التدخلات العسكرية والسياسات التوسعية، كما تكمن أهميته في توضيح كيفية صناعة التهديدات وتوظيفها في العلاقات الدولية، وتفسير العديد من القرارات الأمريكية التي غيّرت بنية النظام الدولي، خصوصاً بعد الحرب الباردة وأحداث ١١ سبتمبر.

ثانياً: إشكالية البحث

تتمثل إشكالية البحث الأساسية في السؤال: **كيف تُسهم فلسفة العدو الوهمي في تشكيل توجهات السياسة الخارجية الأمريكية، وما الآليات التي تُستخدم لخلق وتصعيد تلك التهديدات الخارجية؟**

وتتفرع عنها تساؤلات:

١. ماهي الأسس النظرية والنفسية التي تقوم عليها فلسفة العدو الوهمي؟

٢. كيف استخدمت الولايات المتحدة هذه الفلسفة خلال الحرب الباردة وما بعدها؟

٣. ما تأثير هذه الفلسفة على الاستقرار الدولي ومبادئ القانون الدولي؟

ثالثاً: فرضية البحث

ينطلق البحث من الفرضية الرئيسة: تعتمد الولايات المتحدة على فلسفة العدو الوهمي كأداة استراتيجية لإعادة تشكيل بيئتها الدولية وتبرير سياساتها التدخلية، من خلال صناعة التهديدات وتضخيمها واستخدامها لحشد الرأي العام وتحقيق مكاسب جيوسياسية.

رابعاً: منهجية البحث

يعتمد البحث على المناهج:

١. التحليلي–الاستنباطي لتحليل مفهوم العدو الوهمي وتفسير كيفية نشأته وتطوره في الفكر السياسي الأمريكي.

٢. المنهج التاريخي لتتبع استخدامات الولايات المتحدة لفلسفة العدو الوهمي عبر محطات زمنية كالحرب الباردة، حرب الخليج، الحرب على الإرهاب.

المحور الأول: عوامل التأثير في السياسة الخارجية الامريكية

تُعد السياسة الخارجية التطبيق العملي لرؤية الوحدة الدولية او صناع القرار فيها في مجال العلاقات مع وحدات المنتظم الدولي الأخرى، وهي تعكس

الاستراتيجية التي وضعها صانع القرار لتحقيق الأهداف والطريقة التي تسعى فيها الدولة لتحقيق مصالحها القومية من خلال علاقاتها الدولية الخارجية.

نظراً لتعقد ظاهرة السياسة الخارجية وتعدد الأطراف التي تعمل وفقها، فقد تعددت تعريفاتها، ولم يتم الاتفاق على تعريف شامل، فأن كل من فيرنس وريتشارد سنايدر قد عرفا السياسة الخارجية بأنها "منهج للعمل او مجموعة من القواعد او كلاهما، تم اختياره للتعامل مع مشكلة او واقعة معينة حدثت فعلاً او تحدث حالياً او يُتوقع حدوثها في المستقبل(السيد سليم ١٩٩٨، ١١)، فالسياسة الخارجية على وفق هذا التعريف تعكس منهجية تقوم وفق قواعد ثابتة طويلة الأمد، وليست اجتهادات او ردود أفعال انية، ويرى (سنايدر) ان الدولة تُحدد بأشخاص صانعي قراراتها الرسميين، ومن ثم فان سلوك الدولة هو سلوك ممثليها الرسميين، وان السياسة الخارجية عبارة عن نتيجة لقرارات من خلال اشخاص يتبوؤون المناصب الرسمية في الدولة(النعيمي ٢٠١٠، ٢٠)، أما الدكتور حامد ربيع فيعرف السياسة الخارجية بأنها: جميع صور النشاط الخارجي، حتى لو لم تصدر عن الدولة كحقيقة نظامية، وأن نشاط الجماعة كوجود حضاري، أو التعبيرات الذاتية كصور فردية للحركة الخارجية، تنطوي وتندرج تحت هذا الباب الواسع الذي يطلق عليه السياسة الخارجية(السيد سليم ١٩٩٨، ٧).

اما العلاقات الدولية فهي علم من العلوم السياسية، يهتم بدراسة كافة الظواهر التي تتجاوز الحدود الدولية، ومن خلالها يمكن دراسة وتحليل الظاهرة السياسية على المستوى الدولي، بكل أبعادها النظرية والواقعية.

تُعرف العلاقات الدولية: بأنها كافة التفاعلات والروابط المتبادلة؛ سواء كانت سياسية أو غير سياسية بين الكيانات المختلفة في إطار المجتمع الدولي، وهي لا تقتصر على دراسة وتحليل الجوانب أو الأبعاد السياسية فقط والعلاقات بين الدول، وإنما تتعداها إلى مختلف الجوانب الاقتصادية والعقائدية والثقافية والاجتماعية؛ فهي

تشمل كل علاقة ذات طبيعة سياسية، أو من شأنها إحداث انعكاسات وآثارٍ سياسية تمتد إلى ما وراء الحدود الإقليمية لدولة واحدة، وتخصُّص العلاقات الدولية يركز على فهم حركة القوى المؤثرة في السياسة الدولية وتفسيرها، اذ تضم الساحة الدولية في إطار تفاعلاتها بالعديد من التناقضات بين أعضاء المنظومة الدولية، إذ تنوعت ما بين صراعات وأزمات وحتى حروب، الأمر الذي من شأنه أن يفضي إلى حدوث سلسلة من التفاعلات، يترتب عليها نشوء موقفاً مفاجئاً ينطوي على تهديد مباشر للقيم أو المصالح الجوهرية الدولية(بن جديد ٢٠٠٧، ٢٨)، وهنا تمتد السياسة الخارجية الى التعاطي مع المواقف الانية والمفاجئة في العلاقات الدولية، لاسيما حينما تكون الاحداث عالية الخطورة والاهمية.

تستعين الإدارة الأمريكية دائماً بشركات العلاقات العامة للوصول إلى «صناعة الإجماع» في تنفيذ جميع برامجها الداخلية والخارجية، إذ تقوم المؤسسات في صناعة وتوجه الرأي العام لتقبل الفكرة وتبنيها، وهذه الفكرة أصلاً هي وليدة الإدارة الأمريكية، وقد مارست ذلك في لجنة كريل خلال الحرب العالمية الأولى، وفي الحرب الباردة مع الاتحاد السوفييتي، وفي حرب الخليج الأولى، وأخيراً في احتلال أفغانستان والعراق (الزغبي ٢٠١٣، ١٢٣)، وقد اصبحت إدارة الأزمات الخارجية أسلوباً مستحدثاً في إدارة الصراعات الدولية ولها إستراتيجية محددة تقوم على مجموعة من الاسس والمبادئ الدولية، كما أنها أضحت علماً وفناً يمارسه قادة الأمم ورجال الدولة بقدر من المهارات والاحترافية.

وظهرت هنا مدارس مختلفة في الدبلوماسية والسياسية الخارجية والعلاقات الدولية، تعكس كل منها طبيعة المجتمع في تلك الدول، ومدى تماسك وضعها الداخلي وحنكة وكفاءة صناع السياسة الخارجية وإدارة العلاقات الدولية فيها (العيد وامينة ٢٠٢٠، ١٠٤)

من العوامل الاساسية في اتخاذ القرار السياسي الخارجي: طبيعة النظام السياسي والاقتصادي، والأحزاب السياسية، وجماعات الضغط، والرأي العام، إذ يُعد الرأي العام أحد العوامل المهمة بل والمشاركة في عملية صنع القرار السياسي، وأن تحديد العلاقة بين الرأي العام وصانعي القرارات يؤدي إلى خلق التفاعل الطبيعي بين اهتمامات الرأي العام وقراراته وقرارات السلطة السياسية، الأمر الذي يضمن الحفاظ على الاستقرار السياسي والاجتماعي من ناحية، وإحداث التغيرات المجتمعية بطريقة سليمة من ناحية أخرى (الكفارنة ٢٠١٧، ٢٦).

لهذا تركز اغلب دول العالم على اقناع الرأي العام، لكي يكون مؤيداً وداعماً لقراراتها الخارجية على مستوى العلاقات الدولية، ما يعطي شرعية لتلك القرارات، ولكون الاعلام هو أحد اهم العوامل المؤثرة على الراي العام، فأن تنامي البعد الإعلامي في العلاقات الدولية يؤدي دوراً مهماً في توجيه الرأي العام المحلي والدولي.

المحور الثاني: صناعة العدو في التفكير الاستراتيجي الأمريكي

تمثل فكرة العدو احدى المرتكزات الأساسية في السياسة الخارجية الامريكية، من اجل ضمان تماسك الجبهة الداخلية، ولتمرير المخططات والمشاريع الاستراتيجية الامريكية على الساحة الدولية، وإذا لم يكن العدو موجوداً، فإن الولايات المتحدة الامريكية تقوم بصناعة عدو وتعظيمه امام الراي العام المحلي والدولي.

اولاً: مفهوم العدو في الفلسفة الامريكية

إن العدو ليس فقط خصماً مادياً يحمل تهديداً أمنياً، بل هو "الآخر" الذي تُبنى الذات ضده، وبهذا الصدد يرى كارل شميت أن العدو هو المكون الأساسي إذ لا

توجد سياسة دون تحديد "من هو العدو؟"، فإن العدو هو كيان يحمل تهديداً وجودياً للهوية الوطنية ولا يمكن التعايش معه سياسياً دون صراع (الكاظمي٢٠١٢، ٨١).

في المقابل عدَّ الفلاسفة الليبراليون العدو هو ظاهرة قابلة للاحتواء بالتفاوض، بينما يرى الواقعيون أمثال هانز مورغنثاو وكيسنجر أن العدو هو ظاهرة حتمية في نظام دولي فوضوي، وبالتالي فإن التوازن الاستراتيجي هو السبيل لمواجهته (الكاظمي٢٠١٢، ٨٣).

إن فكرة خلق العدو والصراع معه، فكرة كامنة في جذور الفكر الواقعي الغربي عموماً، والأميركي خصوصاً، إذ يرى هيغل أهمية الحرب وتأثيرها في الشخصية الفردية وفي المجتمع، إذ يؤمن بأن المجتمع بدون احتمالات الحرب والتضحيات التي يتطلبها سيتدهور ويصبح مستنقعاً لإشباع الملذات الأنانية فتنحل الجماعة وينهار المجتمع نتيجة لذلك (العمار٢٠٠٧، ١٠).

اما في الفكر السياسي الميكافيلي، فوجود العدو هو ضرورة، لأنه يعطي مبررات للسلطة السياسية لاستخدام نفوذها بشكل أوسع، وكسب انتماء الناس بحكم التخويف من العدو، الذي يأخذ أشكالاً مختلفة، فقد يكون دولة، أو تعزيز الصراع الطائفي الداخلي، وغيرها من الأساليب التي تجعل التوجهات السياسية والإعلامية موجهة للوقوف ضد هذا العدو (الحارثي، ٢٠١٤).

يرى البعض إن قضية ايجاد العدو في صورة تخطيط سياسي، تعود الى وليو شتراوس مؤسس حركة المحافظين الجدد في أميركا، الذي يرى أنهُ في سبيل ايجاد تماسك داخل المجتمع الأميركي لابد من وجود عدو يوحد الأمة الأميركية (الحارثي، ٢٠١٤).

في الوقت الذي اكدت فيه أحداث أيلول جاهزية الولايات المتحدة لخوض الحروب وربحها بعد أن قدمت الحرب الباردة الدليل على استعدادها لمثل هذه المهمة، فأنها من جانب أخر تم وضع الولايات المتحدة أمام مسؤولية لتحسين

نواحيها التنظيمية ومن هنا بدأت صناعة العدو في الإطار الستراتيجي القائم على مجموعة من الآليات منها (عبد المجيد ٢٠١٥):

١. تحديد من ينطبق عليهم وصف الأعداء، وهو أمر يتصل بالبعد الفلسفي وفقاً لمقومات القوة الأمريكية التي تعُدها تشكل تهديداً للأمن القومي الأمريكي يتوجب ردعه.
٢. إيجاد مخطط تمهيدي لكيفية التعامل مع الأعداء والذي غالباً ما يكون جاهزاً أمام صناع القرار.
٣. المباشرة بأعداد التجهيزات اللازمة لمواجهة الأعداء.
٤. التهيؤ للانفتاح على ما أسمتهم الأعداء وغالباً ما تحدد البيئة الداخلية الأمريكية مبررات الاندفاع نحو هذا التبرير، من أجل فهم طبيعة الحراك الاجتماعي داخل المجتمع الأمريكي، ذلك المجتمع الذي أعلن دخولهُ مرحلة ما بعد الحداثة (post – modernism) أخذ يعاني من تعاظم تأثير اتجاهات التفكك في البنية المجتمعية والتي أرست مع سيادتها على مختلف الأصعدة، وبهذا الصدد نجد أن الإدارات المتعاقبة بدأت بتصدير الأزمات للخارج لتثقل بها كاهل الآخرين وتولد لها أعداء جدد، إذ قدمت هنا صناعة العدو نفسها كخيار لابدَّ منهُ لضبط التحول الكبير والمقصود في بنية الاندماج السائد داخل المجتمع الأمريكي ذاته.
٥. الشروع ببناء مقتربات أداة تتلاءم مع ظروف المواجهة، وعادةً ما تكون عملية البناء تلك ناجحة نظراً لنجاح الولايات المتحدة في خلق المواءمة بين متطلبات الأداء الحياتي في سياساتها عبر نجاحها في استيعاب مجالات التكنولوجيا الخارقة تلك المواءمة التي ظلت عصية على كثير من الدول وشعوبها.

٦. تكيف العقدة الإستراتيجية لمتطلبات المواجهة، من المعلوم أن العقيدة الإستراتيجية الأمريكية اقترنت ومنذُ أمد بعيد باستراتيجية الردع التي نجح الأمريكيون في توظيفها لصالحهم خلال الحرب الباردة، نظراً لطبيعة العدو الذي يواجهونهُ، إلا ان هذهِ الاستراتيجية أصابها نوع من الخطأ بعد الحرب الباردة ليس بسبب القصور في التوظيف وإنما بسبب الغموض حول فكرة العدو ووصفها الواقعي، فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي واجهت الولايات المتحدة اشكالاً متعددة من الأعداء لم يصلح معهم نموذج ردع الحرب الباردة، الأمر الذي دعاها إلى تطوير إستراتيجية ردع جديدة لم تتضح معالمها بعد لعدم اكتمالها ولتعدد أنماطها تبعاً لخصوصية العدو الذي تواجهه.

ثانياً: تطور فلسفة العدو في التاريخ الأمريكي

١. الحرب الباردة (الاتحاد السوفيتي كعدو أيديولوجي)

كانت فكرة العدو خلال مدة القطبية الثنائية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية هي المحرك الأساس للعلاقات الدولية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، فالأول كان يعد الرأسمالية والامبريالية عدوه الوجودي، قابلته الولايات المتحدة والمعسكر الغربي باعتبار الاتحاد السوفيتي عدوها الاستراتيجي الذي ينبغي توجيه كل الجهود للتخلص منه، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي في ديسمبر/ كانون اول عام ١٩٩١، فقدت الولايات المتحدة ركيزتها الأساسية لاستمالة الراي العام الداخلي، ولتوجيه سياستها الخارجية وعلاقاتها الدولية(كونيسا ٢٠١٥، ١٤).

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ظهر الاتحاد السوفيتي كعدو أيديولوجي شامل للولايات المتحدة ولم يكن التهديد عسكرياً فقط، بل ثقافياً وقيمياً، إذ جرى تصوير الشيوعية بوصفها نقيضاً مباشراً للهيكل الأمريكي القائم على الرأسمالية والليبرالية الديمقراطية (كونيسا ٢٠١٥، ١٤-١٥).

صاغت الولايات المتحدة في عام ١٩٤٧ ما عُرف بـ "عقيدة ترومان"، التي هدفت إلى احتواء التوسع السوفيتي، وأُسس لاحقاً حلف الناتو كجدار دفاعي غربي ضد الخطر الشرقي، ووضعت الاتحاد السوفيتي في قلب كل تهديد عالمي (ايكو، ٢)، وأُسست استراتيجيات عدة منها (كونيسا٢٠١٥، ١٧):

- الردع النووي.
- سباق التسلح.
- التدخلات غير المباشرة (الحروب بالوكالة).
- الدعم العسكري لأنظمة موالية لأمريكا في العالم الثالث.

خلال هذه الفترة الخطاب كان الإعلامي والثقافي يصوّر المواطن السوفيتي كمُغيب يعيش تحت نظام استبدادي، وعدو لا يمكن الوثوق به، وحتى المناهج الدراسية والأفلام كانت تصور الروس كأعداء دائمين للحضارة الغربية.

٢. ما بعد ١١ سبتمبر (الإرهاب الإسلامي كعدو غير تقليدي)

مثّلت هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ نقطة تحول تاريخية في فهم العدو فالتهديد لم يعد دولة، بل شبكة عابرة للحدود، وأصبح " الإرهاب الإسلامي المتطرف" العدو الجديد للولايات المتحدة، بكل ما يحمله من رمزية دينية وثقافية، وجسدت الولايات المتحدة صناعة العدو تحت مفهوم عُرف باسم (الأسلاموفوبيا) ، إذ يشير مصطلح (فوبيا) إلى خوف لا شعوري غير مبرر من مواقف أو أشخاص أو نشاطات أو أجسام معينة ، وعند إضافة هذه الكلمة إلى الإسلام والمسلمين يشير إلى النتائج العملية المترتبة على العداء للإسلام سواء على صعيد الأفراد أو المؤسسات، وكأن الأمر بمرض أصاب المجتمع الغربي أعراضهُ مشاعر سلبية تجتاحهُ تجاه المسلمين ، وبهذا الصدد قامت مؤسسة (the Runnymede Trust) التي تعنى بحقوق الإنسان والأقليات والعرقيات في المجتمع البريطاني بوضع تقرير لها بعنوان (الأسلاموفوبيا تحدٍ لنا جميعاً) بوضع مجموعة من المحددات

التي متى وجدت وجدَ معها الأسلام وفوبيا والتي سبق وأن أعلنتها الإدارات الأمريكية المتعاقبة مراراً وتكراراً (سلوم ٢٠٠٥، ٢٧)، وهي (عبد المجيد ٢٠١٥):

- النظر إلى الإسلام على أنهُ غير عقلاني وعدائي النزعة.
- النظر إلى الإسلام على أنهُ كائن مستقل ليس لهُ قيم مشتركة مع الثقافات الأخرى وهو لا يتأثر بها.

ومن هذا المنطلق عندما يشير (بوش الابن) بأن العالم الإسلامي عبارة عن فاشية إسلامية، وأن الحرب ضد العراق تدخل ضمن دائرة الحروب الصليبية هو أمر يراه منطقي استناداً للمحددات السابقة، ففكرة الحديث عن الإسلام هنا يجعنا نسلم بالمعادلة التي تتبنى فكرة أن (الاسلام = الإرهاب)، وهذا يعني تحول شعار مكافحة الإرهاب إلى إيديولوجيا، وتحوله إلى إيديولوجيا يعني لابدَّ من عدو مفترض توجه الحرب ضده، وهو اليوم يتمثل في (محور الشر)، بعد أن كان يمثل في السابق (إمبراطورية الشر) المتجسدة في الاتحاد السوفيتي (حسين٢٠١٠، ٢٣).

أن عملية ربط التفجيرات والإرهاب والأعمال الإجرامية بالإسلام ليس أمراً حديثاً في الولايات المتحدة، فقد تم برمجة الرأي العام الأمريكي عليه لمدة طويلة ابتداءً من تفجير مركز التجارة العالمي في شباط ١٩٩٣، حيث تم الحديث عندها عن شبكة عالمية فائقة التنظيم مكونة من مجموعات من الإرهاب الإسلامي يسعون للانقضاض على أمريكا، وكذلك حادث تفجير المبنى الفدرالي الأمريكي في أوكلاهوما عام ١٩٩٥، إذ سارع عندها خبراء الإرهاب إلى ربط المسلمين بعملية التفجير، وبهذا الصدد يشير (ريتشارد بوليات) الخبير في الشؤون الإسلامية "بأنهُ لسوف نصل في وقت ما إلى فكرة عدم حاجة الناس إلى أدلة لتصديق أن أي خطر إرهابي هو من متطرفين دينيين إسلاميين" (عماد ٢٠٠٧، ٨٤-٨٥).

٣. عقيدة بوش في ٢٠٠٢

قامت عقيدة بوش على مبدأ الحرب الوقائية ومواجهة الخطر، هذا التغيير منح واشنطن غطاءً قانونياً وأخلاقياً للتدخل العسكري في أي مكان من العالم، أبرز تجليات هذه المرحلة (عواد، ٢٠٢٢):

- غزو أفغانستان (٢٠٠١) لتفكيك القاعدة.
- غزو العراق (٢٠٠٣) بذريعة امتلاك أسلحة دمار شامل.
- إنشاء معتقل غوانتانامو كمكان خارج القانون لمحاكمة "أعداء غير نظاميين".
- برنامج "Extraordinary Rendition" لاختطاف المشتبه بهم وتعذيبهم.

ساعدت المؤسسات الإعلامية على نشر صورة نمطية تربط الإسلام بالعنف، وظهرت موجة "الأسلاموفوبيا" في الداخل الأمريكي، كما استُخدمت رموز ثقافية خارج حدودها لتبرير العداء، وتم خلق حالة استقطاب بين الحرية الغربية والظلامية الإسلامية (دوارة ٢٠٢٣، ٣٦٠)

٤. التحول نحو الصين وروسيا (عودة العدو الكلاسيكي في ثوب حديث)

الأعداء الجدد بعد الاتحاد السوفيتي في السياسة الامريكية، هم الصين وروسيا وإيران، وقبلهم كوبا وبنما والعراق وأفغانستان وصربيا وفنزويلا، ففي كل وقت تتخذ أمريكا عدواً، بحسب مقتضيات امنها القومي ومصالحها الاقتصادية والجيوسياسية، وهي تصنيفات غير خاضعة للقوانين الدولية او لثوابت وبرتوكولات السياسات الخارجية للنظام الدولي، انما تأتي بحسب ما تنص عليه المصالح الامريكية، داخلياً وخارجياً، لضمان تماسك المجتمع الأمريكي الذي هو مجتمع مهاجرين من دول وقوميات واديان مختلفة، لا تجمعهم في العادة سوى المصالح، ولتحقيق المصالح الجيوسياسية الامريكية حول العالم، والى ذلك يشير بيار كونيسا في كتابه (صنع العدو او كيف تقتل بضمير مرتاح) إذ يقول " يمكن لصناعة العدو ان

ترسخ الأواصر الجمعية، ويمكن ان تكون مخرجاً بالنسبة الى سلطة تواجه مصاعب على الصعيد الداخلي" (كونيسا ٢٠١٥، ١٦)

من المعروف إن الولايات المتحدة الامريكية غالباً ما تهرب من مشاكلها الداخلية وازماتها عن طريق افتعال أزمات خارجية، او شن حروب على دول أخرى، فالسياسة الخارجية الامريكية الخارجية تعتمد على القاعدة القائلة بأن " الطرف المناهض للدور الأمريكي الكوني لا المهدد للأمن القومي الأمريكي فحسب هو بمثابة العدو، فلا يشترط صدور عمل عدائي او حتى تهديد به من الدولة كي تصنف في خانة الأعداء، يكفي ان أصحاب القرار او صناع السياسات الأمريكان يعتقدون ان تلك الدولة مناهضة للدور العالمي للولايات المتحدة، او ترفض الخضوع لإرادتها، لتصبح في خانة الأعداء، وتتم شيطنتها واستهدافها بكل الأسلحة الممكنة سياسياً واقتصادياً واعلامياً وحتى عسكرياً ان تطلب الامر"، ويذهب وزير الخارجية الأسبق واحد مخططي السياسات الخارجية الامريكية هنري كيسنجر، إلى أن وجود العدو يساعد على تقليل مظاهر الغموض أو التناقض الذي تقع فيه الستراتيجية عندما تفتقد الهدف الذي ينبغي أن تتعامل معه، معتبراً أن تمييز العدو أسهل من تمييز الصديق، والتعامل مع الأول – أي العدو – وسيلة لتوضيح طموحات الإستراتيجية والحصول على الدافع الأساس للتحرك بشكل مكثف في إطار السياسات العالمية(berger,schwige 1996, 28).

بدءاً من أواخر العقد الثاني من القرن ٢١، بدأت الولايات المتحدة في إعادة تعريف أعدائها بناءً على القوة والمنافسة الجيوسياسية، وليس فقط على الإيديولوجيا، إذ تمت أعادت روسيا إلى خانة العدو التقليدي، خصوصاً بعد ضمها للقرم عام ٢٠١٤ وتدخلها في أوكرانيا وسوريا (الهواري ٢٠١٧)

أما الصين فقد برزت بـ " العدو الصاعد" لكونها (Miller, Chris2022, 37):

- منافس اقتصادي عالمي.

- قوة تكنولوجية تهدد التفوق الأمريكي.
- ذات نظام سياسي مركزي يُعد نقيضاً للديمقراطية الليبرالية.

ففي استراتيجية الأمن القومي لعام ٢٠١٧ و٢٠٢٢، وُصفت كل من الصين وروسيا بأنهما قوتان تسعيان لتقويض النظام الدولي، برزت مظاهر هذا التحول في (Snow, Philip 2023, 65):

- تصعيد عسكري في بحر الصين الجنوبي.
- حظر هواوي وشركات تكنولوجيا صينية.
- دعم مباشر لأوكرانيا في مواجهة روسيا.
- بناء تحالفات جديدة مثل AUKUS وQUAD.

الفارق الجوهري في هذه المرحلة هو أن العدو لم يعد فقط مسلحاً، بل منافساً في القيم والنفوذ والتكنولوجيا والأسواق، ما يجعل فلسفة العدو أكثر شمولاً وتعقيداً.

هذهِ السلوكيات تعد من أهم المآخذ التي تشخصت في العقل السياسي الأمريكي، فضلاً عن صناع القرار السياسي الأمريكي، التي رسخت لديهم ضرورة وجود عدو خارجي لغرض تحشيد الطاقات والتوجهات من أجل تماسك المجتمع ، وقد يكون من أهم أسباب الاهتمام الامريكي بِـ (العدو الخارجي) أتت من الأساس التاريخي الذي تكونت بموجبه هذه الدولة، والذي يعد معياراً أساسياً ومهماً في حياة الولايات المتحدة الأمريكية ، فالمجتمع الأمريكي طور نفسه ودولته من خلال الاعتماد على التحشيد الجماعي ضد عدو قريب أو بعيد ، فالعدوان وأن كان وهمياً مطلوب وجوده لقدرته على خلق مستوى عالي من التعبئة الجماهيرية الداخلية التي تحتاجها الدولة في حشد القدرات والإمكانات من أجل تحقيق الانتصار، ففي وقتٍ سابق كان (الهنود الحمر) وفي أخرى كان المستعمر البريطاني وتبعها الاتحاد السوفيتي الذي أحتل المكانة الأبرز، وبعد سقوطه كان الاسلام من شغل اسس الاهتمام الأمريكي (Miller, Chris2022, 39).

هذا السلوك أو النمط السياسي الذي استمرت عليه الطبقة السياسية الأمريكية ازاء شعبها رفع مستوى التحدي والاستناد لها من أجل تحقيق مصالحها الخارجية ، حتى وأن كانت خالية من الاسس القانونية والأخلاقية، مما يجعل سلوكياتها مبررة ومقبولة من الرأي العام الداخلي، فالثقافة الأمريكية تفترض دوماً وجود عدو خارجي يهدد المجتمع وسلامتهُ الأمر الذي يستوجب الاتكاء على فهم نظري بإمكانه تحقيق التحشيد، وعلى الرغم من أن هنالك تعددية في الاتجاهات المفسرة لظاهرة خلق الأعداء، كأن يكون أداة لحماية الأمن القومي الأمريكي ، إلا أن الولايات المتحدة ظلت في حيرة حول كيفية تسويق تلك الصناعة وتحديد من هو العدو، وبغض النظر عن ذلك بأنهُ من الثابت فأن الولايات المتحدة لم تزل ترى أن الطرف الآخر ليس غير مكافئاً لها فحسب بل هو عدو يحاسب على نياته وأفعاله معاً، فضلاً عن أن العالم كما يراه المسؤولون في الادارة الأمريكية لم يزل غير مستوعب حقيقة التفوق الأمريكي والتي تحكمها عقلية التفوق على الآخر(berger,schwige) 1996, 30

ان الواقع السياسي الدولي لعالم ما بعد الحرب الباردة واختفاء العدو وهو الاتحاد السوفيتي، جعل الإستراتيجية الأميركية تفتقر إلى الرؤية اللازمة للتحرك الخارجي، وهو ما عبر عنه هنري كيسنجر بقوله «إن هناك مشكلة عقلانية عميقة في السياسة الخارجية الأميركية اليوم، فغياب تهديد منفرد وساحق مثل التهديد الذي واجهته في سنوات الحرب الباردة، يجعل الولايات المتحدة تفتقد الاتجاه الذي تسلكه» (المعيني ٢٠١٠).

ان التناقضات التي تعاني منها البنية المجتمعية الامريكية، تمثل عامل قلق دائم للنخبة السياسية وصناع القرار في الولايات المتحدة، تدفعهم باتجاه البحث عن محفزات تحافظ على الوحدة المجتمعية، حتى لو كانت ادعاءات وهمية او أسباب مصطنعة، قائمة على أكاذيب يتم تسويقها إعلامياً، لخداع الرأي العام الأمريكي،

وتشتيت انتباهه عن المشاكل والتحديات الداخلية، وهو أسلوب قديم استخدمته الكثير من القوى الاستعمارية على مر التاريخ، لاستمالة الراي العام صوب « عدو متربص» يحاول الانقضاض على بلدهم، اما للهروب من مشاكل داخلية، او للحصول على شرعية جماهيرية يفتقدونها، او لتبرير طموحاتها في الهيمنة على مصائر الشعوب، فالدول الاستعمارية عملت باستمرار على خلق أعداء أو تضخيم خطر منافسين سياسيين واقتصاديين، بشكل يوحي إلى أن بقاء هذه الكيانات مرتبط ببقاء أعدائها حتى وإن كانوا وهميين، وهو تماما ما يمكن أن نطلق عليه مفهوم «خلق العدو الوهمي» (عواد ٢٠٢٢).

تحت ضغط هذه الحاجة الجوهرية تصدى مفكرون أميركيون يرتبطون بدوائر إستراتيجية وسياسية أميركية، لوضع نظريات مستقبلية في مضامين وشكل وخواص الصراعات الدولية القادمة، لا سيما بعد زوال الخطر السوفياتي (العدو) الذي كان السلعة التي تروجها الولايات المتحدة، ومن هنا جاءت فكرة خلق تحدٍّ من نوع جديد، استجابة لمحاولة تجنب المجتمع الأميركي لحالة الانهيار، وتراجع التأثير النسبي المتوقع لمكانة الولايات المتحدة في حال غياب عدو يساعد على تقوية الترابط بين أفراده (دواره ٢٠٢٣، ٣٦٧).

لم تجد الولايات المتحدة الامريكية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، أفضل من أسامة بن لادن، الذي كانت المخابرات المركزية الامريكية قد جندته ودعمته لاستنزاف الاتحاد السوفيتي بعد غزوه لأفغانستان في ٢٥ ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٧٩، وحتى اجبر على الانسحاب منها في ١٥ فبراير/شباط عام ١٩٨٩، ثم عادت لتحول بن لادن الى عدو مع تنظيم "القاعدة" الارهابي الذي تأسس في العام ١٩٨٩، من شبكة من المتطوعين العرب الذين ذهبوا إلى أفغانستان في الثمانينيات للقتال تحت راية الإسلام ضد الشيوعية السوفيتية (**Al-Qaeda's 2004**)، إذ اكدت وسائل اعلام عالمية ان بن لادن ومقاتلوه تلقوا آنذاك تمويلاً أمريكياً

وسعودياً، ويعتقد بعض المحللين أن بن لادن نفسه تلقى تدريبات أمنية من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، والامر هنا لا يتوقف عند الولايات المتحدة، بل ان سقوط الاتحاد السوفيتي أفقد بن لادن أيضاً العدو الذي يجمع تحت راية محاربته خليطاً غير متجانس من المقاتلين العرب والافغان وغيرهم، ليتمرد على الولايات المتحدة ويعلن الحرب ضدها في مرحلة لاحقة.

المحور الثالث: آلية صناعة العدو وتوظيفه استراتيجياً

يؤدي الخطاب الإعلامي والنفسي دوراً مهماً في صناعة العدو في وعي الجمهور الأمريكي، فإن العدو لا يُصنع فقط عبر التحليل العسكري، بل يُبنى ويُرسخ بشكل منهجي من خلال الخطاب الإعلامي والنفسي (دواره ٢٠٢٣، ٣٦٨)، إذ يُستخدم الإعلام كأداة مركزية لنقل صورة نمطية للعدو على أنه خطر وجودي من خلال (علّو ٢٠٢٣، ٧-٨):

- التكرار واللغة المشحونة: يستخدم الإعلام الأمريكي كلمات ومصطلحات مثل "إرهابي"، "متطرف"، "عدو لا يُهزم"، مما يعزز مشاعر الخوف والقلق بين الجمهور.
- الصور النمطية: تصوير العدو غالباً ما يكون بصور نمطية سلبية، مثل تصوير المسلمين بشكل عام كإرهابيين بعد ١١ سبتمبر، أو تصوير الروس والصينيين كتهديدات دائمة.
- الأفلام والدراما: السينما الأمريكية توظف في صياغة سرد الأبطال مقابل الأعداء، لتعزيز الهوية الوطنية على أساس التمييز بين الصديق والعدو، مثل أفلام تجسد الجنود الأمريكيين كأبطال في مواجهة الإرهاب.
- التغطية الإخبارية: تتسم بالتكثيف أثناء أزمات أو تهديدات، مع التركيز على أخبار الهجمات، والتفجيرات، والاستعدادات العسكرية، مما يخلق حالة مستمرة من التهديد والقلق.

هذا الخطاب يؤثر في الرأي العام، ويُسهل قبول السياسات العسكرية والأمنية، ويُقلل من الاعتراضات الداخلية على الحروب.

لكون الولايات المتحدة تشتهر بذكاء في استخدام الإمكانيات الإعلامية لديها، فقد استغلتها كثيراً في صناعة العدو وتعزيزه، سواء في المغالاة في تضخيم العدو "الخصم المستهدف"، أو إعداد المسرح الدولي والرأي العام الداخلي الدولي لكى تتقبل هذه الدول والرأي العام فيها، ما ستقدم عليه الولايات المتحدة من إجراءات في مواجهة العدو المفترض، مثلما فعلت مع العراق وكوريا الشمالية وايران وسوريا بإدراجها ضمن محور الشر، او اتهامها بخرق حقوق الانسان مثل الصين، مقابل التغاضي عما يفعله حلفاءها من خروقات للقرارات والشرعية الدولية مثل إسرائيل(الكفارنة ٢٠١٧، ٢٧).

يُعد الأعلام بوسائله المختلفة أداة مهمة من أدوات الصراع وتصادم المصالح الذي ميز العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، فالطبيعة الأيديولوجية التي ميزت المرحلة اللاحقة أدت إلى زيادة الجهود التي بذلتها القوى العظمى من اجل التأثير المباشر في الآراء السياسية والتوجهات العامة للشعوب، لهذا استخدمت وسائل الأعلام وعلى نطاق واسع في مجالات الحرب النفسية والدعاية من أجل تحقيق الأهداف المرجوة (علي ٢٠١٧).

من الملاحظ أنه كلما أرادت الحكومات الأمريكية القيام بأي خطوات كبيرة على الساحة الدولية، تبدأ أولا بقياس نبض الشارع الأمريكي، واستمالة الرأي العام الداخلي والخارجي، من خلال تقارير إخبارية، وبرامج وثائقية وسياسية حول ما ستقدم عليه، وبعدما تطمئن إلى استقرار الأمر لها تقدم على اتخاذ قرارها سواء كان سياسياً أو عسكرياً أو اقتصادياً أو استراتيجياً، فالإعلام بوسائله أضحى عنصراً لا غنى عنه في مجال السياسة الخارجية (الهواري ٢٠١٧).

تؤدي وسائل الإعلام الأمريكية وظائف متعددة في عملية تخطيط وتنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية عبر وسائل مختلفة، وتأتي في مقدمة هذه الوسائل الصحافة، فهي من ناحية يستخدمها صانعو القرار السياسي لتفسير مواقفهم وسياساتهم وجمع التأييد لمواقفهم الحكومية، وفي إيصال آراء قادة الرأي وجماعات المصالح والجمهور بصفة عامة الى القادة الحكوميين وصانعي السياسة، ومن ناحية اخرى يمكن من خلالها ممارسة الضغط على صانعي السياسة عِبر جماعات الضغط والمصالح المؤثرة فيها، ومن خلال دورها في تشكيل الرأي العام (الهواري ٢٠١٧).

يرى العديد ان الإعلام الأمريكي الذي يقول انه يسير وفق نظرية الإعلام الحر، إلا إنه من جانب آخر هو إعلام سلطوي يلبي رغبة السياسة الخارجية وتتحكم به الحكومة الأمريكية دائماً، وهو بذلك يكرر أسلوب الإعلام الرسمي الموجه الذي اعتمدته الدول الشمولية والإتحاد السوفيتي السابق تحديداً (علي ٢٠١٧).

يوضح الكاتب (ميشال بوغنون) هذهِ الفكرة بالقول "إن الولايات المتحدة بارعة في صناعة الرأي العام وتحويل تفكيره وتنميط مواقفه، وهم مدينون بذلك لخبرتهم الطويلة في مجال الإعلان والدعاية واحتكار كبريات وكالات الصحافة الدولية، وقوتهم المالية، فضلاً عن الدور المؤثر الذي تؤديه (هوليوود) صاحبة المدافع الإعلامية الكبيرة العابرة للقارات في هذا المجال، فالسياسة الأمريكية قد تصنع أحياناً في هوليود بدلاً من واشنطن" (تومي ٢٠١٨، ٢٢١)، فأن صناعة العدو تبدأ بكذبة سياسية واستخبارية في أكثر الأحيان، يليها تطبيل وتضخيم اعلامي، أحد الاستراتيجيات التي تبنتها الولايات المتحدة، وتمكنت من تمريرها وسط ضغوط وتهديدات سياسية واقتصادية وإعلامية وعسكرية شديدة.

أن وسائل الإعلام تؤدي وظائف مختلفة في تنفيذ السياسة الأمريكية، ويأتي في مقدمة هذه الوسائل قنوات غير شخصية يستخدمها صانعو السياسات الحكومية في تأدية أدوار مهمة في تشكيل وتكوين الرأي العام حول قضايا السياسة الأمريكية، ولان الولايات المتحدة الامريكية الصانعة الأولى للإعلام في العالم، فهي تملك أضخم المؤسسات والشركات الإعلامية على المستوى الدولي، وتتحكم في أغلبية الأخبار عبر العالم من خلال أقمارها الصناعية وشبكاتها الإخبارية، كما أن صناعة الإعلام تعد رافداً اقتصادياً مهماً وأداة سياسية قوية تعتمدها بشكل ذكي للسيطرة على مسار الأحداث عبر العالم وخلقها إن استدعت مصلحتها ذلك(الهواري ٢٠١٧).

في كتابه (المتلاعبون بالعقول) يقول رئيس وسائل الاتصال في جامعة كاليفورنيا الأمريكي هربرت شيللر، "يقوم مدراء أجهزة الإعلام في أمريكا بوضع أسس لعملية تداول الصور والمعلومات، ويشرفون على معالجتها وتنقيحها وإحكامِ السيطرة عليها تلك الصور والمعلومات التي تُحدّد معتقداتِنا ومواقفنا بل وتحدّد سلوكنا في النهاية"، كما ان الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك الإعلام العالمي من خلال مؤسسات إعلامية ضخمة، وهذا يخدم مصالح السياسة الخارجية الامريكية عندما تحاول تمرير أي قرار دولي ضمن منظومة الأمم المتحدة، وهذه المؤسسات الإعلامية تقوم بدعمه عن طريق استمالة الرأي العام الدولي، وتوجيه الرأي العام الداخلي الأمريكي، وهذه الإجراءات ليست عفوية، او اجتهادات شخصية من المؤسسات الإعلامية الامريكية، وانما هو تنسيق مسبق، وان بدت وسائل الاعلام في تنافس بين بعضها البعض، لكنها في الحقيقة تتفق في القضايا الاستراتيجية، وهكذا فان المادة الإعلامية الامريكية مادة محضرة ومعدة لخدمة اهداف السياسية الامريكية، سواء من خلال اختيار الخبر والمعلومة والمشهد، او من خلال إخراجه والتعليق عليه، وربما من خلال اختلاقه أساساً(الزغبي ٢٠١٣، ١٣٣).

يقوم الإعلام الأمريكي بتشكيل حالة الهيمنة من خلال فرض أحادية الموقف والأفكار، التي يتعرض المتلقي السلبي، لذلك أصبح الإعلام في الولايات المتحدة من أهم وسائل الهيمنة، والتي قد تتحول وتتطور وتقوم بتعبئة الرأي العام بحسب تقلبات الأوضاع، فخلال أزمة الخليج وحربها، حققت إدارة بوش حالة الهيمنة الإعلامية، من خلال نجاحها في تنفيذ سياستها الحربية وتسويقها إلى الجمهور، وبالرغم من وجود معارضة لسياسة إدارة بوش، إلا أنه قد تم تهميشها في وسائل الإعلام المهيمنة وإجبارها على التزام الصمت، وتكرر نفس المشهد بعد أحداث أيلول ٢٠٠١ إذ توجه الإعلام بعد تفجير مبنى البنتاغون ومبنى التجارة العالمي وبشكل مباشر إلى تشويه صورة العرب والمسلمين وتم التعامل معهم بطرق غير لائقة إنسانياً في أمريكا وفي أوروبا، بل أن أي شخص يصبح متهماً ومشكوك فيه فقط لأنه عربي أو مسلم، لقد كان الإعلام الأمريكي حريصاً على تعبئة الرأي العام الأمريكي ضد العرب والمسلمين من خلال ما ذكرناه سابقاً من «صناعة الإجماع»(الزغبي ٢٠١٣، ١٣٣).

وتتم عملية صناعة العدو على مرحلتين (عبد الله ٢٠١٢):

الأولى: تقوم على اقناع مختلف فئات الراي العام ان لها عدواً مشتركاً في نفس مصالحها، لدفعها الى تقبل برنامج مشترك لمواجهته.

الثانية: على تقوية الكره ضد هذا العدو، وذلك باللجوء الى اليات العِداء والاسقاط، مما يجعلهم يعتقدون ان هذا العدو ليس عدوهم فقط، بل ان انه الشر العام.

يقول الفيلسوف الأمريكي، سام كين، "أنه يكفي أن ترسم على وجه عدوك الجشع والمكر والحقد والقساوة، قم بالتغطية على كل ملامحه التي قد تجلب التعاطف معه، بالغ في تصوير خطر كل سماته الإنسانية حتى يتحول إلى وحش

قاتل، عندما تكتمل هذه الصورة في أذهان الجمهور، حينها يمكنك قتل عدوِّك"(لحسن ٢٠١٩).

إن الأعداء الذين يتم صناعتهم من قبل الفئات القاهرة هم أعداء من إبداعات الخيال، إما من أجل الحفاظ على هويات مبنية على أسس غير عادلة كانت قد تشكلت في فترة تاريخية معينة أو لإظهار التفوق الأناني الناتج عن عدم وجود مدعاة تاريخية للفخر لدى الفئة القاهرة وإنها فئات لا تملك السببية الأخلاقية لسلوكها، وحقيقة استمراريتها لا ترتبط سوى باستمرار فكرة «العدو»، ويجب التفريق هنا بين وجود الأعداء الذين يشكلون خطراً على وجودنا بمحاولاتهم الحثيثة الانقضاض علينا وهي ظاهرة طبيعية معروفة منذ القدم وبين مسار خلق الأعداء وانتاجهم من خلال الشيطنة وتصوير الخطر المبالغ فيه وغيرها من الأساليب، وينقسم الأعداء هنا إلى قسمين: عدو داخلي وآخر خارجي، وفي حالة عدم وجود العدو الداخلي، تلجأ معظم الأنظمة عبر التاريخ للبحث عنه وخلقه لتبرير مختلف القرارات التي يتم اتخاذها والتي قد لا تحظى بشعبية كبيرة. ويتم خلال مسار خلق العدو الداخلي شيطنة الخصوم السياسيين المنافسين المحتملين على السلطة أو فئاتٍ اجتماعية محددة (لحسن ٢٠١٩)، إن تعزيز شعارات المواجهة مع العدو تلهب حماس الجماهير وتستثير مشاعرهم وتجمعهم نحو هدف واحد، وتصرفهم عن بحث ومناقشة قضاياهم وازماتهم ومشاكلهم الحقيقة، وتسمى عملية الاستثارة تلك سيكولوجياً بتحويل الهدف.

عندما يتكلم أحدهم عما يُطلق عليه لفظة العدو الوهمي، فهو يتحدث عن ذلك الخطر الضبابي والموت المزيف الذي يُخاتِل بالتسلط على الشعوب والفتك بها إن هي لم تساند الحكومات في القضاء عليه، فهو ذلك الشبح الخفي الذي يخشاه الجميع من غير أن يشاهدوه حقيقةً، ولكن تواترت الأخبار عن وجوده وإن لم يكن موجوداً، بدأ هذا المفهوم يتحول إلى واقع عملي عند محاولة توحيد الصف الداخلي

بافتراض أن هناك خطر قادم يستوجب من الجميع الوقوف صفاً واحداً في مواجهته (البطاوي ٢٠١٦).

ومن الصناعات الملحقة بصناعة العدو، ما يمكن أن يطلق عليه "صناعة المبالغة"، حيث يسود الخطاب المرئي والمكتوب التهويل والمبالغة حول مدى القدرات الأمريكية التي بإمكانها أن تصل إلى كل مكان، وفي هذا الموضوع، تستعين الولايات المتحدة بهوليود، أكبر مكان في العالم لصناعة الأفلام، والتي تقوم بإظهار المقاتل الأمريكي على انه مقاتل اسطوري، لا يتسلل الخوف الى قلبه، وهو قادر على اختراق كل الحصون ودفاعات الخصوم، ويتقن استخدام كل الأسلحة لسحق العدو، بما فيها الطائرات والدبابات والأنظمة الالكترونية الحديثة، بما رسخ في العقول القوة الخارقة للولايات المتحدة، وامكاناتها العسكرية في هزيمة الأعداء، باعتبارها القوة الأكبر والاضخم في العالم، التي لا تقهر(السعدون ٢٠١٢، ٨).

الخاتمة:

ان موضوع صناعة العدو يتجاوز حدود الحاجة السياسية في المنهجية الامريكية، إذ يرى البعض انه أصبح يمثل ثقافة مجتمعية رسختها أفلام هوليود، وعمقتها وسائل الاعلام والدعاية الامريكية، ومن اهم المآخذ التي تركتها الثقافة الامريكية على صناع القرار السياسي الامريكي، انها رسخت عندهم، ضرورة وجود «عدو خارجي» لغرض تحشيد الطاقات والهمم، من اجل تماسك المجتمع، وربما يكون سبب هذا التوجه لصنع العدو، الأساس التاريخي الذي نشأت عليه هذه الدولة.

فالولايات المتحدة كما هو معروف هي دولة مهاجرين، أي انها تفتقد الى المشتركات المجتمعية التي تعزز الوحدة الداخلية، وبالتالي كانت تحتاج على الدوام الى صنع او ابتكار عدو يمكن ان يحقق اللحمة المجتمعية، وعمقت هذه المنهجية النشأة التاريخية للولايات المتحدة، فأول الأعداء كانوا سكان البلاد الأصليين وهم

الهنود الحمر، الذين تم القضاء عليهم بشكل شبه تام باعتبارهم اعداء ، ثم حرب مع أعداء جدد منهم المستعمر البريطاني، والمستعمر الاسباني، ثم انخرطت الولايات الامريكية في حروب أهلية فيما بينها، حتى توحدت في نهاية المطاف لتشكل الولايات المتحدة، لكن محركات الصراع العنيف بين السود والبيض ظلت تلقي بضلالها على المجتمع الأمريكي، ومازالت تتفاعل حتى الان، وتعود الى السطح بين فترة وأخرى، ثم انخرطت أمريكا في حروب متتالية مع أعداء خارجيين في الحرب العالمية الثانية، اليابان وألمانيا وإيطاليا.

قائمة المراجع

أولاً :المصادر العربية

١. السيد سليم، محمد1998 .*تحليل السياسة الخارجية* .القاهرة
٢. النعيمي، أحمد .2010*السياسة الخارجية* .عمّان :دار زهران للنشر والتوزيع.
٣. بن جديد، عبد القادر .2007*العلاقات الدولية* .الجزائر :دار الخلدونية للنشر والتوزيع.
٤. الزغبي، سلافة فاروق. ٢٠١٣. *صناعة الإجماع في الإعلام الأمريكي* .بيروت.
٥. حيتامة العيد، وزناندة أمينة. ٢٠٢٠. "إدارة الأزمة من منظور العلاقات الدولية: دراسة تأصيلية نظرية ".*المجلة الأفريقية للدراسات القانونية والسياسية*، جامعة أحمد دراية، أدرار – الجزائر، مجلد ٤، عدد ١.
٦. الكفارنة، أحمد عارف. ٢٠١٧. "العوامل المؤثرة في عملية اتخاذ القرار في السياسة الخارجية ".*مجلة دراسات دولية*، العدد ٤٢.
٧. الكاظمي، مصطفى. ٢٠١٢.مسألة *العراق: المصالحة بين الماضي والمستقبل*. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
٨. العمار، منعم صاحي. ٢٠٠٧. "صناعة العدو في السياسة الخارجية الأمريكية (دراسة في عمليات الإرهاب) ".*مجلة أبحاث عراقية*، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، السنة السابعة، العدد١.
٩. الحارثي، محمد فهد.٦ أغسطس ٢٠١٤. "كذبة «العدو» التي صدقت ".*صحيفة البيان*. https://www.albayan.ae/opinions/articles.
١٠. عبد المجيد، حسن. ٢٠١٥. صناعة العدو في العقل الامريكي. المركز الديمقراطي العربي https://democraticac.de/?p=18974
١١. كونيسا، بيار ٢٠١٥ .*صنع العدو أو كيف تقتل بضمير مرتاح* .ترجمة نبيل عجان. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، السنة الثانية.
١٢. سلّوم، سعد. ٢٠٠٥. "العقل الأمريكي: تخيّل القوة ".*مجلة النبأ*، العدد ٧٧، بغداد. https://annabaa.org/nbahome/nba005/77.htm.
١٣. حسين، شمس إسماعيل. ٢٠١٠ .*هذا العالم... لمن؟ زيف الإسلاموفوبيا*.. بيروت: الدار العربية للعلوم.

١٤. عماد، عبد الغني. ٢٠٠٧. *صناعة الإرهاب*. ط ١. بيروت: دار النفائس.
١٥. دوارة، راجي نصير. ٢٠٢٣. "خداع الراي العام في السياسة الدولية صناعة العدو في السياسة الامريكية أنموذجاً"، مجلة كلية القانون والعلوم السياسية الجامعة العراقية (٢٢)
١٦. الهواري، شيماء. ٢٠١٧. "وسائل الإعلام وصنع السياسة الأمريكية." المركز الديمقراطي العربي، برلين https://democraticac.de/?p=50171 .
١٧. علّو، حيدر احمد. ٣٠٢٣. دور وسائل الاعلام في الحرب الناعمة. كلية الاعلام جامعة بغداد.
١٨. المعيني، خالد.٢٠١٩. "إيران في نظريات صنع العدو الأميركية." الجزيرة نت. https://www.aljazeera.net
١٩. علي، سليم كاطع. ٢ شباط ٢٠١٧."وسائل الإعلام والسياسة الخارجية الأمريكية." شبكة النبأ المعلوماتية. https://m.annabaa.org/arabic/referenceshirazi/971
٢٠. عبد الله، محمد إبراهيم، ومهدي محمد. ٢٠١٢."الدعاية السياسية وأثرها في تشكيل الرأي العام." مجلة جامعة بابل – العلوم الإنسانية، المجلد ٢٠، العدد ٣.
٢١. لحسن، البشير محمد. ١٦ يوليو ٢٠١٩."دليل صناعة الأعداء: مقاربة نظرية." المركز العربي للبحوث والدراسات.
٢٢. البطاوي، ثروت. ٢٠١٦."صناعة العدو: خديعة الأنظمة العربية للبقاء والتمدد." موقع رصيف ٢٢. https://raseef22.net/article/85118
٢٣. السعدون، حميد حمد. ٢٠١٢."السلوك السياسي الخارجي الأمريكي ومرتكزاته الثقافية." مجلة السياسية الدولية، العدد ٢١، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية.

ثانياً: المصادر الاجنبية

1. Weinberger, G., and P. Schwige. 1996.*The Next War*. New York.
2. Miller, Chris. 2022.Chip War: The Fight for the World's Most Critical Technology. New York: Scribner.
3. Snow, Philip. 2023.China and Russia: Four Centuries of Conflict and Concord. Yale University Press.
4. "Al-Qaeda's Origins and Links – Middle East." BBC News, July 20, 2004. http://news.bbc.co.uk